Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

آليات التأثير والإقناع في خطبة غدير خم للنبي محمد ﷺ (دراسة تداولية)

م.د سعيد مراد جواد الكريطي
جامعة المستقبل – كلية التربية – قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
Saeed.murid.jueid@uomus.edu.iq

استلام البحث:20-03-2026 مراجعة البحث :20-04-2026 قبول البحث:10-05-2026

الملخص

يُعنى هذا البحث بدراسة خطبة غدير خم ومقام حجة الوداع وفق المقاربة اللسانية التداولية (Pragmatics)، مستهدفاً الكشف عن الاستراتيجيات الحجاجية واللغوية التي وظفها الخطاب النبوي لتحقيق الإقناع وضمان الامتثال وتضييق مساحات التأويل البعدي، واعتمد البحث منهجياً على أدوات تداولية رئيسية؛ أبرزها نظرية الأفعال الكلامية (أوستن وسيرل)، والقرائن الحالية والسياق المقامي، والاستلزام الحواري وقوانين الخطاب (غرايس)، إضافة إلى الروابط وحجج السلطة. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج؛ أهمها نجاح الخطاب في تحويل الملفوظات إلى أفعال ومواقف "إعلانية/إنشائية" غيرت الواقع السياسي والاجتماعي فوراً، وتوظيف الاستفهام الاستدراجي والروابط الاستنتاجية لانتزاع إقرار الجمهور العلني ومحاصرة الفراغات الدلالية بلفظ الولاية، كما أثبتت الدراسة تحقق الأثر التداولي والتأثيري الملموس عبر طقوس البيعة والتهنئة الفورية، فضلاً عن تحويل الخطاب إلى دستور تشريعي عابر للأجيال من خلال صيغة الأمر ببلاغ الشاهد للغائب.

الكلمات المفتاحية: لتداولية، الأفعال الكلامية، الحجاج اللغوي، السياق المقامي، الاستلزام الحواري

Abstract:
This research investigates the Sermon of Ghadir Khumm and the setting of the Farewell Pilgrimage through a linguistic-pragmatic approach. It aims to uncover the argumentative and linguistic strategies employed in the Prophetic discourse to achieve persuasion, ensure compliance, and narrow the scope for subsequent reinterpretation. Methodologically, the study relies on key pragmatic tools, most notably Speech Act Theory (Austin and Searle), situational cues and the context of situation, conversational implicature and the maxims of discourse (Grice), in addition to argumentative connectors and arguments from authority.
The study yields several key findings, foremost of which is the success of the discourse in transforming utterances into immediate reality-changing "declarative/performative" actions and stances within the socio-political sphere. Furthermore, it demonstrates how leading questions and inferential connectors were utilized to extract the audience's public endorsement, thereby circumscribing semantic gaps regarding the term Wilayah (guardianship/authority). The study also proves the realization of a tangible pragmatic and perlocutionary effect through the immediate rituals of allegiance and congratulation, as well as the transformation of the discourse into a cross-generational legislative constitution via the imperative command for the witness to convey the message to the absent.
Keywords : Pragmatics, Speech Acts, Linguistic Argumentation, Context of Situation, Conversational Implicature.

المُقَدِّمَة:

تُمثّل خطبة غدير خم حدثاً تشريعياً وسياسياً مفصلياً في التاريخ الإسلامي، ولا تقف قيمتها عند حدود السرد التاريخي المحض، بل تمتد لتشكل نصاً بيانياً غنياً بالاستراتيجيات اللسانية والتداولية فائقة التأثير والتوجيه، وتكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن تلك الأبعاد التداولية والحِجاجية للخطاب النبوي، وبيان الكيفية التي تضافرت بها عناصر السياق المقامي الخارجي مع البنية اللغوية والداخلية للنص لتوجيه وعي الأمة وصياغة قرارات ملزمة، ومن هنا تتبلور مشكلة البحث في تساؤل مركزي مفاده: ما هي الاستراتيجيات الحجاجية واللغوية التي اعتمدها النبي ﷺ في مقام الغدير لتحقيق الإقناع الأقصى، وضمان استجابة المتلقي الفورية، وتضييق مساحات التأويل البعدي؟ ولتفكيك هذه المشكلة، اعتمد البحث في مواد ومقاربات تحليله على أدوات المنهج التداولي (Pragmatics) المتنوعة؛ وفي مقدمتها نظرية الأفعال الكلامية لأوستن وسيرل لتحديد القوة الإنجازية للملفوظات، وآليات الاستلزام الحواري وقوانين الخطاب الأربعة لغرايس لرصد المعاني الضمنية والمسكوت عنه، فضلاً عن تحليل الروابط الحجاجية وحجج السلطة، مع ربط تلك الأدوات اللسانية بالقرائن الحالية والبيئة المقامية الفيزيائية المحيطة بالحدث، وقد خلص البحث إلى حزمة من النتائج الجوهرية، أبرزها نجاح الخطاب النبوي في تحويل الكلمات من سياقها الشفهي المعزول إلى أفعال ومواقف إعلانية مغيرّة للواقع الاجتماعي والسياسي بشكل فوري بمجرد صدورها عن سلطة مؤهلة، كما أثبتت النتائج فاعلية توظيف الاستفهام الاستدراجي والتقريظ الحجاجي مع الروابط الاستنتاجية في انتزاع إقرار الجمهور الصريح، مما أدى تداولياً إلى محاصرة الفراغات الدلالية وسد منافذ العبث التأويلي اللاحق بلفظ الولاية، وتوصل البحث كذلك إلى أن الأثر التأويلي الملموس لم يقف عند حدود الإذعان النفسي، بل تُرجم سلوكياً ومادياً في الواقع الخارجي عبر طقوس التهنئة والبيعة الفورية، في حين شكلت عبارة الأمر ببلاغ الغائب استلزاماً حوارياً ممتداً يمنح الخطاب ديمومة تشريعية عابرة للقرون والأجيال.

1- السياق المقامي (الخارجي) لخطبة غدير خم وأثره التداولي.

يُمثّل "السياق المقامي" (Context of Situation) ركيزةً أساسية في التحليل التداولي؛ إذ لا يُمكن تبيُّن المقاصد الحقيقية للأفعال الكلامية بمعزلٍ عن البيئة الخارجية المنتجة للخطاب"[1]، فالكلام يكتسب قوته الإنجازية والتأثيرية من خلال تضافر المقال مع المقام، وهو ما يتجاوز البنية اللغوية الصرفة إلى العناصر غير اللغوية المحيطة بالحدث الاتصالي[2].

وفي خطبة غدير خم، لم يكن السياق مجرد إطارٍ زمني ومكاني محايد، بل شكّل أداةً حِجاجية صاغها الرسول ﷺ بدقة لتوجيه أذهان المتلقين نحو خطورة الموقف وعظمة القادم من الأحكام، إن استدعاء آليات المقام –من اختيار بقعة جغرافية مفصلية، وحبس الركب في هجير الظهيرة، واستخدام الإشارات الجسدية– يعكس استراتيجية تداولية واعية تهدف إلى شحن الخطاب بأقصى درجات التأثير والإقناع، وتحويل الكلمات إلى مواقف مشهودة لا تقبل التأويل البعدي[3]، وبناءً على ذلك، سينتظم هذا المبحث في مطلبين؛ يدرس الأول دلالة الزمان والمكان كإشاريات مقامية، بينما يتناول الثاني البعد التواصلي غير اللفظي والآليات الحركية المصاحبة للخطبة.

1.1. الزمان والمكان (الإشاريات والمؤشرات التداولية).

تُعدّ دراسة "الإشاريات" (Deictics) والمؤشرات السياقية "من أهم المقاربات التداولية في تحليل الخطاب؛ إذ تشكّل الجسر الرابط بين البنية اللغوية الصرفة والمقام الخارجي الذي أُنتجت فيه"[4]، واللغة، من منظور تداولي، لا تعمل في فراغ، بل تستمد قيمتها الإقناعية والدلالية من إحداثيات الزمان والمكان الذَين يحيطان بالمتكلم والمستمع، وفي خطبة غدير خم، لم يكن اختيار الزمان والمكان مجرد مصادفة جغرافية أو ظرفية عابرة، بل كان اختياراً استراتيجياً بامتياز، وظّفه النبي ﷺ كـ "**قرائن حالية**" (Contextual Clues) بالغة الأثر لتهيئة أذهان المخاطبين وتوجيه مقاصدهم نحو تلقي قرار تشريعي وسياسي بالغ الأهمية والتأثير[5].

إن دلالة اختيار مكان الخطبة في "غدير خم" تحمل في طياتها أبعاداً تداولية وحجاجية دقيقة، فهذا المكان يقع بالقرب من الجحفة، وهو نقطة مفصلية تتشعب منها الطرق وتتفرق عندها القبائل والوفود العائدة من حجة الوداع إلى شتى أصقاع الجزيرة العربية (كالمدينة، ومصر، والشام، واليمن، والعراق)، ومن الناحية التداولية، يُسمى هذا الاختيار بـ "**استراتيجية البؤرة الاتصالية المركزية**"؛ حيث تعمد المرسِل ﷺ اختيار بقعة جغرافية يضمن فيها حشد أكبر عدد ممكن من المسلمين قبل أن يتفرقوا في بلدانهم، مما يجعل من المكان فضاءً جغرافياً حجاجياً يُسهم في تعظيم حجم الاستجابة والتلقي، ويمنع تشتت الرسالة قبل بلوغها[6].

أما من حيث "الزمان"، فقد جاءت الخطبة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وتحديداً في وقت الظهيرة الشديدة (الهجير)، هذا التوقيت الزمني، بما يرافقه من مشقة طبيعية وحرارة لاهبة، لم يكن ظرفاً عارضاً، بل تحوّل بفعل القصدية النبوية إلى "**مؤشر مقامي حاد**، "إن إيقاف آلاف المسافرين في وهج الشمس وحبس ركابهم في ذلك الوقت الحرج يعطي المتلقي إشارة تداولية فورية مفادها: "إن الأمر الذي استدعى هذا التوقف في هذا الوقت العصيب هو أمر فوق العادة، ولا يحتمل التأجيل"[7]، وهنا يتدخل "السياق الزماني والمكاني" كقرينة حالية تسهم في شحن الموقف بالجدية والرهبة، وتستثير دافعية الانتباه والإنصات الكامل لدى الجمهور قبل أن ينطق الرسول بكلمة واحدة.

وعند الانتقال من السياق الخارجي للمقام إلى النص اللغوي نفسه، نجد أن الخطاب النبوي قد استثمر "**الإشاريات المكانية والزمانية**" (Spatial and Temporal Deixis) بطريقة تداولية مكثفة لشد انتباه المتلقين وتثبيت الحجة في نفوسهم، إن وظيفة الإشاريات في التداولية هي ربط منطوق الكلام ببيئة المتكلم الحاضرة؛ بحيث لا يمكن فهم الإشارة إلا إذا كان السامع شريكاً في المقام[8].

وقد تجلى هذا التوظيف في استخدام أسماء الإشارة والظروف الزمانية والمكانية لربط الأحكام الكبرى بوعي اللحظة الراهنة، ففي العبارات الممهدة واللاحقة للخطبة، مثل الإشارة إلى الحوض: *"فَإِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيَّ الحَوْضَ"*، نجد استخدام المعرفة بألف واللام الإشارية الذهنية التي تقرب البعيد الغيبي وتجعله حاضراً في وعي السامع كأنه يراه.

أما ذروة التوظيف الإشاري الإقناعي، فتظهر في العبارة المركزية الصريحة: **"فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ"**، إن دخول هاء التنبيه مع اسم الإشارة للمفرد المذكر **"فهذا"**، مصاحباً للفعل الحركي النبوي المتمثل في رفع يد الإمام علي (ع) حتى رئي بياض إبطيهما، يُمثّل دمجاً عبقرياً بين الإشارية اللغوية والإشارية الحركية[9]، (Deictic Gesture)، تداولياً، يعمل هذا التلاحم بين اللفظ والحركة على تحديد "المرجع" (Referent) بدقة مطلقة لا تقبل الشك أو اللبس الخارجي، إن استخدام "هذا" يقطع الطريق على أي تأويل مستقبلي يحاول صرف المعنى عن شخص الإمام علي الحاضر في ذلك المقام، أو ادعاء أن الكلام قيل في غائب، أو أنه مجرد حديث عام لا يستهدف تعييناً مشخصاً.

إن الإشاريات هنا تحولت من مجرد أدوات ربط نحوية إلى **"منارات تداولية حجاجية"**؛ فاسم الإشارة "هذا" يختزل المسافة بين القول والواقع، ويجعل من الشخص المشار إليه عيناً مشهودة يقع عليها بصر السامعين وإقرارهم، كما أن استخدام صيغة الفورية والاتصال في صياغة الجملة يعزز القوة الإنجازية للخطاب، ويجعل من تلك البقعة الجغرافية المعزولة (غدير خم) ومن ذلك الوقت المحدد (وقت الهجير) مركزاً تاريخياً أبدياً ينطلق منه التشريع، مما يفرض على "الشاهد" أن يحمل هذه الإحداثيات الزمانية والمكانية واللفظية ليبلغها إلى "الغائب" عبر امتداد العصور[10].

بذلك، يتضح كيف تظافرت البنية الإشارية داخل النص النبوي مع القرائن الحالية للمقام الخارجي (بين مكة والمدينة، وفي الهجير) لتحقيق أعلى درجات التأثير والإقناع؛ حيث أُرغم المتلقي –من خلال ظروفه الفيزيائية وبنيته اللغوية السامعة– على الانخراط التام في الحدث، واستشعار خطورة المقصد النبوي وثباته.

1.2. روابط الحجاج وبناء الأدلة (المنطق الخطابي).

يقوم المنطق الخطابي (Discursive Logic) في لسانيات الحجاج الحديثة، ولا سيما في الأطروحات التي قعد لها أوزوالد ديكرو وجان كلود أنسكومبر، على فرضية أن اللغة تحمل بداخلها طاقة ديناميكية موجهة نحو الإقناع، وأن الكلمات لا تُلقى بصورة عشوائية بل تخضع لنظام نسقي دقيق يربط بين المقدمات والنتائج[11]، وضمن هذا المنظور التداولي، لا يقتصر الحجاج على تقديم الأدلة العقلية الجافة، بل يمتد ليشمل كيفية صياغة هذه الأدلة عبر أدوات لغوية متخصصة تُسمى **"الروابط الحجاجية"** (Argumentative Connectors)، والتي تعمل "كإشارات مرورية توجه ذهن المتلقي نحو النتيجة التي يبتغيها المتكلم"[12]، وتكشف خطبة غدير خم عن بنية حجاجية صارمة تضافر فيها المنطق اللغوي الرابط مع المنطق الديني الإلزامي المستند إلى "حجج السلطة"، وهو ما سنعمد إلى تفكيكه عبر مسارين؛ يدرس الأول توظيف الروابط الحجاجية لربط المقدمات بالنتائج الشرعية، بينما يبحث الثاني في الاستناد إلى حجج السلطة الغيبية والشرعية كأدوات إلزامية فائقة التأثير.

أولاً: توظيف الروابط الحجاجية لربط المقدمات بالنتائج الشرعية.

تُمثّل الروابط الحجاجية في الخطاب النبوي الغديري أدوات قهرية لغوية تسوق السامع نحو الإذعان؛ إذ إنها ترسم مساراً استدلالياً متصلاً يربط بين التسليم بالمقدمات والقبول الحتمي بالنتائج الشرعية المترتبة عليها[13]، ومن أبرز هذه الروابط التي وظفها النبي ﷺ في هندسة هذا الخطاب المصيري: (إنّما، بل، وإذن "أو الفاء الرابطة للنتيجة").

ويبرز توظيف أداة الحصر والتوكيد "**إنّما**" كأداة حجاجية ذات قوة توجيهية عالية "تهدف إلى قصر الحكم وتعيينه ونفي ما عداه"[14]، مما يضيق مساحات المناورة الذهنية لدى المتلقي، وتتجلى هذه الآلية اللغوية في السياقات الممهدة للولاية وحفظ الأمة، حيث يسوق النبي الأدلة على مرجعية الثقلين مستخدماً الروابط التي تحصر النجاة فيهما؛ ومما ورد في الروايات الموثقة للخطبة قوله ﷺ:

"إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ... وَأَهْلُ بَيْتِي"[15].

تداولياً، تعمل "إنّما" هنا على حصر الطبيعة البشرية للنبي في بُعدها الزمني القابل للانتهاء (قرب الأجل)، ليربط هذه المقدمة الواقعية بنتيجة شرعية حتمية عبر فاء السببية والنتيجة *(فخذوا...)*؛ فكأن المنطق الخطابي يقول: بما أنني بشر راحل (مقدمة)، فإن النتيجة المنطقية الوحيدة لحفظكم من الضلال هي الاعتصام التام بالثقلين (نتيجة شرعية).

كذلك، يظهر الاعتماد على "**الفاء الرابطة**" التي تعمل عمل (إذن) الاستنتاجية في الفلسفة الحجاجية، حيث تُنزل النتائج منزلة الثبوت القطعي بعد استقرار المقدمات[16]، ويتضح هذا في البنية التركيبية للجملة المركزية:

"أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"[17].

إن ورود الفاء في قوله *(فَمَنْ كُنْتُ...)* ليس مجرد عطف نحوي، بل هو رابط حجاجي استنتاجي محض يعادل كلمة "إذن"، لقد قدّم مقدمة أولى أقر بها الجمهور (الأولوية بالمؤمنين)، ثم فرّع عليها النتيجة مباشرة بالفاء الاستنتاجية؛ ومقتضى هذا الربط التداولي أن ولاية الإمام علي هي نتيجة منطقية وشرعية منبثقة بالضرورة من مقدمة الولاية النبوية نفسها، إن المتلقي هنا يجد نفسه محاصراً بـ "المنطق التلازمي" للخطاب؛ إذ لا يمكنه عقلياً أو لغوياً قبول المقدمة (الولاء للنبي) ورفض النتيجة (الولاء لعلي) لشدة التلاحم اللغوي الذي صنعه الرابط الحجاجي.

ثانياً: الاعتماد على حجج "السلطة الغيبية" والشرعية كأدوات إلزامية.

إلى جانب الأدوات اللغوية والروابط التركيبية، استند الخطاب النبوي في غدير خم إلى أرفع أنواع الحجج في تصنيف الفيلسوف الحجاجي تشايم بيرلمان، وهي "**حجة السلطة**" (Argument from Authority)[18]، وتكتسب حجة السلطة

قوتها عندما يستدعي المتكلم مقاماً أو غيباً أو حكماً يحظى باحترام مطلق وتسليم مسبق من قِبل المتلقين، "بحيث يصبح الاعتراض على الحجة بمثابة خروج عن الجماعة ونقض للمقدس"[19].

وقد استثمر النبي ﷺ ثلاث مسارات لحجج السلطة الإلزامية في الخطبة: (أمر الله الصارم، فعل النعي، وقرب الأجل)، لقد بدأ الخطاب بإشعار الأمة بأن الموقف ليس مبادرة شخصية أو رأياً بشرياً يحتمل النقاش، بل هو استجابة لأمر غيبي حاسم لا خيار فيه، ويؤكد هذا ما نقله السيوطي في *الدر المنثور* عبر اقتباس نصي يرصد نزول آية التبليغ المقترنة بمقام الغدير:

"عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم في علي بن أبي طالب[20].

تداولياً، إن كشف النقاب عن صدور أمر إلهي علوي مباشر يرفع الخطاب من رتبة "العرض البشري" القابل للأخذ والرد، إلى رتبة "الإلزام العقدي والقهر الشرعي"، فالجمهور المخاطب يعلم أن التواني في الامتثال بعد هذا الإعلان يُعدّ خروجاً عن ربقة الطاعة الإلهية، وهي من أقوى استراتيجيات الإقناع الحجاجي القائمة على استدعاء السلطة الغيبية المطلقة لشرعنة المقاصد وتثبيتها.

كذلك، وُظّف "**النعي وقرب الأجل**" كحجة سلطة وجدانية وأخلاقية فائقة التأثير؛ إذ يذكر ابن كثير في *البداية والنهاية* اقتباساً نصياً من الخطبة النبوية يوضح كيف استخدم النبي البُعد الإنساني لقرب رحيله كأداة لإلزام السامعين وحثهم على حفظ الوصية، حيث يقول:

"فقام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب..."[21].

إن استدعاء حجة "الوفاة القريبة" يترك أثراً نفسياً وتداولياً تذوب معه أي مقاومة ذهنية لدى السامع؛ فـ "الوصية الأخيرة للراحل" تحظى في العرف الاجتماعي والنسق الإنساني بقداسة خاصة تلزم القلوب بالوفاء[22]، وحين يقرن النبي هذا الرحيل الوشيك بضرورة التمسك بالثقلين وولاية الإمام علي، فإنه يحول الامتثال من مجرد واجب قانوني جاف إلى التزام أخلاقي وعاطفي وديني مغلظ.

بناءً على ذلك، يتضح كيف تضافر المنطق الخطابي في غدير خم لإنتاج خطاب إقناعي معجز؛ حيث تلاحمت "الروابط اللغوية" الحاضرة والاستنتاجية (إنّما، الفاء) لتبني جسراً منطقياً لا ينفصم بين المقدمات والنتائج، بينما جاءت "حجج السلطة الغيبية والوجدانية" (الأمر الإلهي، النعي) لتضفي على تلك النتائج صفة الإلزام القدسي الصارم، مما جعل الخطاب محكماً تداولياً، ومسدداً حجاجياً، وموجهاً بشكل قطعي نحو إقرار الولاية وحفظ مسيرة الأمة[23].

2. الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية في الخطبة.

يُشكّل البحث في "الأفعال الكلامية" (Speech Acts) المدخل الأساس للتحليل التداولي، حيث أحدثت هذه النظرية –التي صاغها الفيلسوف جون أوستن وطوّرها جون سيرل– ثورةً في فلسفة اللغة عبر نقضها للوظيفة الوصفية التقليدية، وإثباتها أن نطق الملفوظ هو إنجازٌ لفعلٍ يُغيّر وجه العالم الواقعي[24]، فاللغة لم تعد مجرد أداةٍ لنقل الأفكار أو الإخبار بالصدق والكذب، بل غدت سلوكاً إنشائياً وممارسةً اجتماعية محكومة بقوانين تداولية صارمة[25].

وينطلق هذا المبحث من تلكم المقولات النقدية لتفكيك البنية الخطابية لحديث غدير خم، متتبعاً الكيفية التي تحولت بها كلمات النبي ﷺ وملفوظاته إلى أفعالٍ ومواقف ملزمة للأمة، "إن الكثافة اللغوية للخطبة تكشف عن هندسة تداولية واعية؛ حيث تضافرت الأفعال التوجيهية، والإعلانية، والالتزامية، لتخرج من سياقها الحرفي المجرد إلى فضاء "القوة الإنجازية" (Illocutionary Force) القادرة على رسم ملامح مرحلة سياسية واجتماعية جديدة"[26]، وبناءً على هذه الرؤية، سينقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ يدرس الأول الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة في التولية، بينما يعنى الثاني برصد القوة الإنجازية التأثيرية للخطاب واستجابة الجمهور لها. المبحث الثاني / المطلب الأول: أسلوب الاستفهام الحجاجي والتقريظ.

2.1. أسلوب الاستفهام الحجاجي والتقريظ.

تُعدّ البنية الحجاجية (Argumentative Structure) إحدى الركائز المكينة في المقاربة التداولية للخطاب، إذ لا تقتصر وظيفة اللغة –وفق هذا المنظور– على التوصيل السلبي للمعلومات، بل "تمتد لتشمل التأثير في المعتقدات وتوجيه سلوك المخاطبين وحملهم على الإذعان والقبول"[27]، وضمن هذا الفضاء التداولي، يبرز "الاستفهام الحجاجي" كأداة أسلوبية فائقة الفعالية؛ فهو يتجاوز الوظيفة الاستفهامية التقليدية القائمة على طلب معرفة المجهول، ليتحول إلى آلية هجومية ودفاعية تُصاغ لانتزاع الإقرارات، وتثبيت الحجج، ومحاصرة الشكوك[28]، وتتجلى العبقرية الاتصالية في خطبة غدير خم عبر هذا الأسلوب الاستفهامي الاستدراجي والتقريظ الحجاجي، وهو ما سنعمد إلى تحليله عبر محورين؛ يتناول الأول بنية الأسئلة النبوية الاستدراجية لانتزاع الإقرار التداولي، بينما يرصد الثاني انتقال المخاطب إلى رتبة المقِرّ الشاهد وأثر ذلك في تضييق فضاءات التأويل.

أولاً: الأسئلة النبوية الاستدراجية و"الإقرار" التداولي

إن المتأمل في المنطق الخطابي لحديث غدير خم يلحظ أن النبي ﷺ لم يعمد إلى إلقاء الأحكام المصيرية الكبرى (كالتولية والوصية) بصورة مباغتة، بل مَهّد لها بـ "**استراتيجية الاستدراج الإقراري**" القائمة على تفكيك قناعات الجمهور وإعادة بنائها عبر سلسلة من الأسئلة التقريرية المتتابعة"[29]، وتداولياً، يُعرف هذا الأسلوب بـ "الأسئلة الموجِّهة" (Leading

Questions) التي تحمل في طياتها الإجابة المفترضة، ولا تترك للمخاطب خياراً سوى الموافقة، نظراً للمسلميات البديهية التي تنطلق منها.

ويبرز هذا بوضوح في الاقتباس النصي الموثق من الخطبة حيث يبتدئ النبي ﷺ مساره الحجاجي بقوله:

"أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ وَنَارَهُ حَقٌّ...؟ قَالُوا: بَلَى نَشْهَدُ بِذَلِكَ. قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ"[30].

إن استخدام حرف النفي بعد همزة الاستفهام *(أَلَسْتُمْ...)* يخرج بالأداة تداولياً من سياق "الاستخبار المحايد" إلى سياق "الاستفهام التقريري الحجاجي"[31]، فالنبي ﷺ يستدرج الجمهور للإقرار بأصول العقيدة (التوحيد، النبوة، المعاد)؛ وهي أصول مسلّم بها ومستقرة في وجدانهم. وتداولياً، تهدف هذه الخطوة الاستدراجية الأولى إلى خلق ما يُسمى بـ "الأرضية الحجاجية المشتركة" (Common Ground)؛ وحين يُعلن الجمهور إقراره الجماعي بكلمة "بلى"، يكون قد دخل طوعاً في ميثاق لغوي والتزامي يجرّده من القدرة على الرفض في الخطوات الحجاجية التالية.

ولم يقف الاستدراج عند عتبة الأصول الغيبية، بل انتقل صُعداً إلى تعيين السلطة الإجرائية على الأرض، فجاء السؤال الاستدراجي الأشد حسماً وتأثيراً:

"أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِنَّ اللهُ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ"[32].

إن هذا التدرج من التقرير العام (العقيدة) إلى التقرير الخاص (الأولوية بالتصرف والتدبير) يُمثّل قمة "الهندسة التداولية لتوجيه المقاصد". إن النبي ﷺ ينتزع هنا إقراراً علنياً بامتلاكه الولاية المطلقة والتفويض الكامل على أنفس المؤمنين، ليتحول هذا "الإقرار" من مجرد إجابة لغوية عابرة إلى مستند شرعي وتداولي صلب يرتكز عليه ليمرر الفعل الإعلاني القادم: *(فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)*.

ثانياً: انتقال المخاطب إلى رتبة المقِرّ الشاهد وتضييق مساحات التأويل.

إن الأثر التداولي الفوري لاستراتيجية الاستفهام الاستدراجي في الغدير يتمثل في إحداث نقلة نوعية في هوية السامع؛ حيث تحول المخاطب من رتبة "المستمع السلبي" (Passive Listener) الذي يتلقى الأوامر والنصوص دون مساهمة، إلى رتبة "**المقِرّ الشاهد**" (Attesting Party) الذي يصوغ النص ويشارك في إنجاح قوته الإلزامية"[33].

تداولياً، عندما يجيب الجمهور المحتشد بـ "بلى نشهد" أو "الله ورسوله أعلم"، فإنه يوقع عهداً لسانياً لا فكاك منه؛ إذ إن "فعل الإقرار والتسليم أمام الملأ يمنع المتكلم (المقِرّ) من الارتداد عن قوله أو ادعاء الجهل به لاحقاً"[34]، ويوضح هذا الطقس

الحجاجي التفاعلي ما نقله ابن كثير في *البداية والنهاية* عبر اقتباس نصي يرصد كيف أخذ النبي التقريظ والشهادة من جماهير الأمة، حيث يورد:

"فقال: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه... ثم قال للناس: ألست قد بلغت؟ قالوا: اللهم بلى، قال: فليشهد الشاهد منكم الغائب"[35].

إن هذا التقريظ والطلب المتكرر للشهادة البلاغية يهدف، من منظور تداولي، إلى **"تضييق مساحات التأويل اللاحقة"** ومحاصرة الفراغات الدلالية التي قد يستغلها المشككون أو المتأولون بعد غياب النص صاحب السلطة. فلو أن النبي ﷺ أعلن ولاية الإمام علي بصيغة إخبارية جافة ومباشرة، لكان بإمكان التأويل البعدي والسياسي أن يصرف لفظ "المولى" إلى معاني النصرة، أو المحبة، أو القرابة العاطفية العابرة.

بيد أن بناء الحكم التوليتي على مقدمة استفهامية تقريرية تدور حول "الأولوية بالنفس" *(أولى بالمؤمنين من أنفسهم)* يمنع لغوياً وتداولياً فصل اللفظ عن سياقه؛ فـ "المولى" في عجز الكلام يجب بالضرورة التداولية والسياقية أن يحمل معنى "الأولى بالتصرف" الحاضر في صدر الكلام"[36]، إن استراتيجية التقريظ وحشد الشهود قد سدت منافذ العبث الدلالي؛ إذ تحول الشهود إلى حراس للنص، وبات خرق هذا الالتزام اللساني بمثابة نكث صريح لشهادة مغلظة أُخذت في مقام مهيب وتحت وطأة ظروف فيزيائية قاهرة لا تُنسى (حرارة الهجير، منبر الأحداج، ورفع اليد)، مما يجعل الخطاب النبوي في غدير خم نموذجاً فريداً في إحكام البناء الحجاجي وتوجيه العقول نحو الامتثال والقطع الدلالي[37].

2.2. روابط الحجاج وبناء الأدلة (المنطق الخطابي)

يقوم المنطق الخطابي (Discursive Logic) في لسانيات الحجاج الحديثة، ولا سيما في الأطروحات التي قعد لها أوزوالد ديكرو وجان كلود أنسكومبر، على فرضية أن اللغة تحمل بداخلها طاقة ديناميكية موجهة نحو الإقناع، وأن الكلمات لا تُلقى بصورة عشوائية بل تخضع لنظام نسقي دقيق يربط بين المقدمات والنتائج[38]، وضمن هذا المنظور التداولي، لا يقتصر الحجاج على تقديم الأدلة العقلية الجافة، بل يمتد ليشمل كيفية صياغة هذه الأدلة عبر أدوات لغوية متخصصة تُسمى **"الروابط الحجاجية"** (Argumentative Connectors)، والتي تعمل كإشارات مرورية توجه ذهن المتلقي نحو النتيجة التي يبتغيها المتكلم[39]، وتكشف خطبة غدير خم عن بنية حجاجية صارمة تضافر فيها المنطق اللغوي الرابط مع المنطق الديني الإلزامي المستند إلى "حجج السلطة"، وهو ما سنعمد إلى تفكيكه عبر مسارين؛ يدرس الأول توظيف الروابط الحجاجية لربط المقدمات بالنتائج الشرعية، بينما يبحث الثاني في الاستناد إلى حجج السلطة الغيبية والشرعية كأدوات إلزامية فائقة التأثير.

أولاً: توظيف الروابط الحجاجية لربط المقدمات بالنتائج الشرعية.

تُمثّل الروابط الحجاجية في الخطاب النبوي الغديري أدوات قهرية لغوية تسوق السامع نحو الإذعان؛ إذ إنها ترسم مساراً استدلالياً متصلاً يربط بين التسليم بالمقدمات والقبول الحتمي بالنتائج الشرعية المترتبة عليها[40]، ومن أبرز هذه الروابط التي وظفها النبي ﷺ في هندسة هذا الخطاب المصيري: (إنّما، بل، وإذن "أو الفاء الرابطة للنتيجة).

ويبرز توظيف أداة الحصر والتوكيد "**إنّما**" كأداة حجاجية ذات قوة توجيهية عالية تهدف إلى قصر الحكم وتعيينه ونفي ما عداه، مما يضيق مساحات المناورة الذهنية لدى المتلقي[41]، وتتجلى هذه الآلية اللغوية في السياقات الممهدة للولاية وحفظ الأمة، حيث يسوق النبي الأدلة على مرجعية الثقلين مستخدماً الروابط التي تحصر النجاة فيهما؛ ومما ورد في الروايات الموثقة للخطبة قوله ﷺ:

"إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ... وَأَهْلُ بَيْتِي"[42].

تداولياً، تعمل "إنّما" هنا على حصر الطبيعة البشرية للنبي في بُعدها الزمني القابل للانتهاء (قرب الأجل)، ليربط هذه المقدمة الواقعية بنتيجة شرعية حتمية عبر فاء السببية والنتيجة *(فخذوا...)*؛ فكأن المنطق الخطابي يقول: بما أنني بشر راحل (مقدمة)، فإن النتيجة المنطقية الوحيدة لحفظكم من الضلال هي الاعتصام التام بالثقلين (نتيجة شرعية).

كذلك، يظهر الاعتماد على "**الفاء الرابطة**" التي تعمل عمل (إذن) الاستنتاجية في الفلسفة الحجاجية، حيث تُنزل النتائج منزلة الثبوت القطعي بعد استقرار المقدمات[43]، ويتضح هذا في البنية التركيبية للجملة المركزية:

"أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ"[44].

إن ورود الفاء في قوله *(فَمَنْ كُنْتُ...)* ليس مجرد عطف نحوي، بل هو رابط حجاجي استنتاجي محض يعادل كلمة "إذن"، لقد قدّم النبي مقدمة أولى أقر بها الجمهور (الأولوية بالمؤمنين)، ثم فرّع عليها النتيجة مباشرة بالفاء الاستنتاجية؛ ومقتضى هذا الربط التداولي أن ولاية الإمام علي هي نتيجة منطقية وشرعية منبثقة بالضرورة من مقدمة الولاية النبوية نفسها، إن المتلقي هنا يجد نفسه محاصراً بـ "المنطق التلازمي" للخطاب؛ إذ لا يمكنه عقلياً أو لغوياً قبول المقدمة (الولاء للنبي) ورفض النتيجة (الولاء لعلي) لشدة التلاحم اللغوي الذي صنعه الرابط الحجاجي.

ثانياً: الاعتماد على حجج "السلطة الغيبية" والشرعية كأدوات إلزامية.

إلى جانب الأدوات اللغوية والروابط التركيبية، استند الخطاب النبوي في غدير خم إلى أرفع أنواع الحجج في تصنيف الفيلسوف الحجاجي تشايم بيرلمان، وهي "**حجة السلطة**" (Argument from Authority)[45]، وتكتسب حجة السلطة

قوتها عندما يستدعي المتكلم مقاماً أو غيباً أو حكماً يحظى باحترام مطلق وتسليم مسبق من قِبل المتلقين، بحيث يصبح الاعتراض على الحجة بمثابة خروج عن الجماعة ونقض للمقدس[46].

وقد استثمر النبي ﷺ ثلاثة مسارات لحجج السلطة الإلزامية في الخطبة: (أمر الله الصارم، فعل النعي، وقرب الأجل)، لقد بدأ الخطاب بإشعار الأمة بأن الموقف ليس مبادرة شخصية أو رأياً بشرياً يحتمل النقاش، بل هو استجابة لأمر غيبي حاسم لا خيار فيه، ويؤكد هذا ما نقله السيوطي في *الدر المنثور* عبر اقتباس نصي يرصد نزول آية التبليغ المقترنة بمقام الغدير:

"عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(المائدة: 67) على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم في علي بن أبي طالب"[47].

تداولياً، إن كشف النقاب عن صدور أمر إلهي علوي مباشر يرفع الخطاب من رتبة "الإقناع البشري" القابل للأخذ والرد، إلى رتبة "الإلزام العقدي والقهر الشرعي"، فالجمهور المخاطب يعلم أن التواني في الامتثال بعد هذا الإعلان يُعدّ خروجاً عن ربقة الطاعة الإلهية، وهي من أقوى استراتيجيات الإقناع الحجاجي القائمة على استدعاء السلطة الغيبية المطلقة لشرعنة المقاصد وتثبيتها.

كذلك، وُظّف "**النعي وقرب الأجل**" كحجة سلطة وجدانية وأخلاقية فائقة التأثير؛ إذ يذكر ابن كثير في *البداية والنهاية* اقتباساً نصياً من الخطبة النبوية يوضح كيف استخدم النبي البُعد الإنساني لقرب رحيله كأداة لإلزام السامعين وحثهم على حفظ الوصية، حيث يقول:

"فقام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب..."[48].

إن استدعاء حجة "الوفاة القريبة" يترك أثراً نفسياً وتداولياً تذوب معه أي مقاومة ذهنية لدى السامع؛ فـ "الوصية الأخيرة للراحل" تحظى في العرف الاجتماعي والنسق الإنساني بقداسة خاصة تلزم القلوب بالوفاء[49]، وحين يقرن النبي هذا الرحيل الوشيك بضرورة التمسك بالثقلين وولاية الإمام علي، فإنه يحول الامتثال من مجرد واجب قانوني جاف إلى التزام أخلاقي وعاطفي وديني مغلظ.

بناءً على ذلك، يتضح كيف تضافر المنطق الخطابي في غدير خم لإنتاج خطاب إقناعي معجز؛ حيث تلاحمت "الروابط اللغوية" الحاصرة والاستنتاجية (إنّما، الفاء) لتبني جسراً منطقياً لا ينفصم بين المقدمات والنتائج، بينما جاءت "حجج السلطة الغيبية والوجدانية" (الأمر الإلهي، النعي) لتضفي على تلك النتائج صفة الإلزام القدسي الصارم، مما جعل الخطاب محكماً تداولياً، ومسدداً حجاجياً، وموجهاً بشكل قطعي نحو إقرار الولاية وحفظ مسيرة الأمة"[50].

3. الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية والتأثيرية.

يُمثّل تتبّع "الأفعال الكلامية" (Speech Acts) القناة التداولية الأبرز للانتقال بالخطاب من مستواه اللغوي البنيوي إلى بعده الإجرائي الحركي. وتنطلق هذه النظرية، في صياغاتها التأسيسية الفلسفية مع جون أوستن وجون سيرل، من مقولة مركزية مؤداها أن المقاصد الاتصالية لا تقتصر على إنتاج جمل واصفة للواقع، بل إن نطق الملفوظ في سياق تداولي مخصوص هو إنجاز لفعل (Doing) يمتلك قوة إنجازية (Illocutionary Force) قادرة على إحداث تغييرات جوهرية في العالم الخارجي[51].

وينعطف هذا المبحث نحو خطبة غدير خم ليفكك منطوقها وفق هذه المقاربة؛ باحثاً في الكيفية التداولية التي تحولت بها جُمل الخطبة النبوية من "سياق الأقوال الشفهية المعزولة إلى مرتبة القرارات التشريعية والسياسية الملزمة للأمة"[52]، إن دراسة القصدية النبوية في هذا المقام تكشف عن شبكة محكمة من الأفعال "التوجيهية" التي صاغت التكليف، والأفعال "الإعلانية/الإنشائية" التي غيّرت الواقع الاجتماعي والسياسي بشكل فوري بمجرد صدورها عن سلطة معصومة مؤهلة لنفاذ الفعل[53]، وبناءً على هذا التصور، سينقسم المبحث إلى مطلبين؛ يدرس الأول الأفعال التوجيهية والإعلانية في التولية، بينما يعنى الثاني بالقوة التأثيرية والأثر التداولي الناتج عن الخطاب.

3.1. الأفعال التوجيهية والإعلانية في التولية.

تُمثّل نظرية "الأفعال الكلامية" (Speech Acts)، التي وضع لبناتِها الأولى الفيلسوف اللغوي جون أوستن وصنّف أبعادَها جون سيرل، عماد الدرس التداولي المعاصر؛ إذ تنطلق من مصادرة أساسية مفادها أن لغة الإنسان لا تقتصر على النقل الإخباري أو الوصف المحايد للواقع، بل هي ممارسة سلوكية وإنجاز بنيوي يُغيّر المواقف والمراكز القانونية والاجتماعية بمجرد النطق بالملفوظ[54]، وضمن هذا الفضاء التداولي الرصين، يتبدى الخطاب النبوي في غدير خم كبؤرة كلامية بالغة الكثافة، تتداخل فيها الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة لتشييد مقام "التولية" وإحاطته بالقوة الإلزامية النافذة. وسنعمد في هذا المطلب إلى تفكيك هذه البنية عبر محورين؛ يدرس الأول تمظهرات الأفعال التوجيهية والإعلانية (الأمر، الدعاء، الإعلان)، بينما يبحث الثاني في القوة الإنجازية والإنشائية الفورية لجملة التولية المركزية وأثرها في تغيير الواقع.

أولاً: الأفعال التوجيهية والإعلانية المباشرة وغير المباشرة في الخطبة.

يتأسس الخطاب النبوي في غدير خم على هندسة تداولية تتدرج في توظيف أصناف الأفعال الكلامية لضمان الامتثال التام. ويبرز في هذا السياق حضور مكثف لـ "**الأفعال التوجيهية**" (Directives)، "وهي تلك الأفعال التي يبتغي المتكلم من خلالها توجيه سلوك المخاطب وحمله على إنجاز فعل مخصوص في المستقبل"[55]، وقد تجسد هذا النمط تارة عبر الأفعال التوجيهية المباشرة التي اتخذت صيغ أمر لغوية قاطعة لا تحتمل التخيير، مستندة إلى السلطة التشريعية العليا

للمتكلم ﷺ. ويؤكد هذا ما نقله أحمد بن حنبل في *مسنده* عبر اقتباس نصي يرصد إلقاء الأوامر التوجيهية المباشرة للجمهور:

"عن زيد بن أرقم قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم... فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى... ثم قال: ألا فليبلغ الشاهد الغائب"[56].

إن صيغة الأمر في قوله ***(فَلْيُبَلِّغْ)*** تُمثّل فعلاً توجيهياً مباشراً ذا قوة إنجازية إلزامية؛ فالنبي ﷺ لا يكتفي بإلقاء الأحكام، بل يوجّع تكليفاً تداولياً صريحاً للحاضرين بتحويل الخطاب إلى رسالة ممتدة عابرة للزمان والمكان، مما يخرج السامع من دائرة الاستماع السلبي إلى دائرة المسؤولية التنفيذية.

وتتضاعف القوة الإنجازية للخطاب عند الانتقال إلى "**الأفعال التوجيهية غير المباشرة**"؛ فالسياق المقامي المحموم بقرب الأجل النبوي جعل من صيغة النعي المخبوءة في قوله: *"وإني أوشك أن أدعى فأجيب"* بمثابة فعل توجيهي غير مباشر، يحثّ الأمة ويوجّهها قسراً نحو ضرورة الاستعداد للمرحلة الانتقالية القادمة، والالتفات حول المرجعية التي سيُعلن عنها.

أما فعل "**الدعاء**" في قوله ﷺ: *"اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ"*؛ فإنه يخرج تداولياً من سياقه العبادي الافتراضي ليتحول إلى فعل توجيهي غير مباشر فائق التأثير[57]، إن المتكلم هنا يسوق الدعاء كأداة حجاجية وضغط نفسي وتداولي؛ فربط الموالاة والمعاداة بالرضا والسخط الإلهي هو بمثابة رسم حدود ولائية صارمة للأمة، وتحذير مبطن للسامعين من عواقب نكث العهد، مما يمنح الدعاء قوة إنجازية تدعم القرار التوليتي وتدفع المتلقي طوعاً أو كرهاً نحو الامتثال.

ثانياً: القوة الإنجازية لجملة التولية وتصنيفها كفعل إعلاني مغير للواقع.

تُمثّل جملة: "**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ**" الذروة التداولية والإنشائية لخطاب غدير خم. وعند إخضاع هذه العبارة المركزية للتصنيف السيرلي للأفعال الكلامية، نجد أنها تنتمي بامتياز إلى صنف "**الأفعال الإعلانية أو الإنشائية**" **(** Performatives Declarations**)**[58]، والأفعال الإعلانية "هي تلك الأقوال التي يُحدث نطقُها تغييراً فورياً ومباشراً في الواقع الخارجي بمجرد صدورها عن سلطة مؤهلة، ومثالها في العرف التداولي الحديث: (أعلنتُ الحرب، أو فسختُ العقد، أو سمّيتُ هذا المولود)"[59].

إن جملة التولية هذه ليست جملة وصفية (Constative) إخبارية تحتمل الصدق أو الكذب، بل هي جملة إنشائية إنجازية تزامنت فيها لحظة القول مع لحظة خلق واقع سياسي واجتماعي جديد للأمة الإسلامية. لقد نقل النبي ﷺ الإمام علي (ع) بهذه الكلمات من رتبة الصحابة العاديين إلى مقام "المولى" الفارض للطاعة والاتباع.

وتستمد هذه الجملة قوتها الإنجازية الحرفية والمستلزمة من شروط نجاح الفعل الإعلاني (Felicity Conditions)، وهي الشروط التي حددها "أوستن" ليكون الفعل نافذاً ومغيراً للواقع[60]:

- **شرط السلطة والمؤهلات:** فالمرسِل هنا هو الرسول القائد المؤيد بالوحي، الذي مهّد لقرار التولية بقرينة إعلانية سابقة: *"ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟"*. فلما أقرّ الجمهور له بهذه الأولوية والتفويض المطلق، نقل هذه الأولوية والولاية نفسها إلى الإمام علي عبر توظيف أداة الإشارة التنبيهية *"فهذا"* المصاحبة لرفع اليد لإزالة أي لبس أو غموض في تعيين الشخص المعني.
- **شرط الإجراء الصارم والسياق الملائم:** إذ جمع الرسول ﷺ آلاف المسلمين في مكان مكشوف، وأوقف القوافل، وصنع منبراً من أحداج الإبل ليرى الجميع ويسمعوا، "هذا الطقس الإجرائي الصارم يُكسب الفعل الإعلاني صفة "الرسمية والإلزام"[61]، ويقطع الطريق على أي محاولة لادعاء أن اللفظ قيل عَرَضاً أو في سياق عاطفي عابر.

ويؤكد النسائي في *السنن الكبرى* هذا الأثر الإعلاني الإنجازي الفوري عبر اقتباس نصي يرصد تحقق شروط الامتثال ونفاذ الفعل في الواقع الخارجي مباشرة بعد نطق النبي بالجملة، حيث يروي:

"عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم... أخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"[62].

إن انتقال اللفظ هنا من الفضاء الذهني إلى الفضاء الخارجي المشهود غيّر الخارطة الاجتماعية والسياسية للأمة فوراً؛ إذ تحولت العبارة من بنية قولية إلى "عقد بيعة وإلزام قانوني"هبّ الصحابة على إثره لتقديم التهنئة والإقرار بالوضع الجديد"[63]، تأسساً على ذلك، فإن القوة الإنجازية الكامنة في الجملة لم تكن مجرد إخبار بمحبة علي أو نصرته –كما قد يتبادر في التأويلات اللغوية الضيقة–، بل كانت إعلاناً سياسياً وتشريعياً صريحاً غيّر بنية الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة، لقد أسست العبارة، من منظور تداولي، لمركزية قيادية جديدة صاغها الرسول ﷺ بأعلى درجات الوضوح والبيان، مستخدماً آليات لغوية وحركية تضمن نفاذ الفعل وأبديته، ليكون "الشاهد" ملزماً ببلاغ "الغائب" عبر امتداد الزمان والمكان"[64].

3.2. القوة التأثيرية والأثر التداولي (Perlocutionary Act).

تمثّل "القوة التأثيرية" أو "الفعل التأثيري" (Perlocutionary Act)، في إطار البناء النظري الثلاثي الذي قعّد له جون أوستن للأفعال الكلامية، المحصلة النهائية والغاية القصوى للعملية الاتصالية؛ إذ يتجاوز التحليل هنا حدود نطق العبارة (الفعل اللفظي)، وحدود القصد الكامن وراءها (الفعل الإنجازي)، ليرصد بدقة طبيعة "الآثار والنواتج النفسية، والسلوكية، والذهنية التي يُحدثها الخطاب في وعي المتلقي وخارجه"[65]، واللغة، من منظور تداولي حِجاجي، لا تُطلب لذاتها، بل

لمدى قدرتها على تغيير قناعات المخاطب، وحمله على الامتثال، وتحويل الاستجابة الذهنية إلى سلوك مادي ملموس[66]، وتكشف خطبة غدير خم عن طاقة تأثيرية هائلة أُنتجت عبر آليات قولية ومقامية مخصوصة، وهو ما سنعمد إلى قراءته أكاديمياً عبر محورين؛ يدرس الأول صيغ الدعاء الحجاجي النبوي كأداة ضغط تأثيرية ونفسية، بينما يبحث الثاني في مدى تحقق الاستجابة الفورية والعملية من قِبل الجمهور كأثر تداولي مشهود وموثق.

أولاً: صيغ الدعاء الحجاجي النبوي كأداة ضغط تأثيرية ونفسية.

يُمثّل الانتقال بالدعاء من سياقه العبادي المألوف إلى فضاء الوظيفة الحجاجية التداولية إحدى أهم الاستراتيجيات التأثيرية في الخطاب النبوي بالغدير، ففي قوله ﷺ: **(اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ)**، لا يقف اللفظ عند حدود الالتجاء الغيبي، بل "يتحول تداولياً إلى "فعل تأثيري قاهر" (Perlocutionary Force) يمارس ضغطاً نفسياً وعقدياً حاداً على المتلقين"[67].

إن البنية التركيبية لهذا الدعاء قائمة على نظام "التقابل التلازمي الشرطي"؛ حيث قسّم النبي المواقف المستقبلية للأمة تجاه الإمام علي إلى معسكرين لا ثالث لهما: (الموالاة والنصرة) في مقابل (المعاداة والخذلان)، ثم ربط كل معسكر بجزاء غيبي مباشر وصادر عن السلطة الإلهية المطلقة، ومن الناحية الحجاجية، فإن هذا الربط يُخرج المخاطب من منطقة الحياد السلبي ويضعه أمام خيار مصيري حاسم؛ فالمتلقي المسلم الذي وقر الإيمان في قلبه يعلم يقيناً أن استجابة الله لدعاء نبيّه قطعية الصدور، ومِن ثَمَّ فإن أي محاولة لمعاداة علي أو خذلانه ستسوقه تداولياً ونفسياً إلى الدخول في دائرة "السخط واللعن الإلهي"[68].

ويؤكد هذا الأثر النفسي والضغط التداولي الطاغي ما نقله الحاكم النيسابوري في *المستدرك على الصحيحين* عبر اقتباس نصي مباشر يوضح توظيف صيغة الدعاء هذه لتثبيت الأثر وإيجاد الرهبة في نفوس الحاضرين، حيث يروي:

"عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم... أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فما انصرفنا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(المائدة:3)[69].

إن اقتران الفعل التأثيري للدعاء بنزول آية الإكمال يُضفي صفة "الحسم العقدي المطلق" على الموقف؛ فالدعاء النبوي هنا لم يعد مجرد أمنيات، بل تحول إلى سياج تشريعي ونفسي يحاصر نزعات التمرد أو الارتداد عن العهد، إن هذا الضغط النفسي التداولي يستهدف "توجيه إرادة السامعين" عبر استثارة خوفي الرغبة والرهبة (الرغبة في الموالاة الإلهية والنصرة، والرهبة من المعاداة الإلهية والخذلان)، مما يجعل القوة التأثيرية للدعاء أداة إقناعية فائقة الإلزام تمنع المتلقي من التفكير في نقض المقصد النبوي المعلن[70].

ثانياً: تحقق الاستجابة الفورية من الجمهور كأثر تداولي ملموس.

لا يكتمل نجاح الفعل الكلامي التأثيري (Perlocutionary Act) في المعيار التداولي إلا إذا تُرجمت القوة الإنجازية الكامنة في القول إلى "حدث خارجي مادي" يقيس مدى استجابة الجمهور وامتثالهم"[71]، وفي مقام الغدير، لم يقف الأثر عند حدود الإذعان النفسي أو السكوت الإقراري، بل تُرجم فوراً إلى سلوكيات اتصالية واجتماعية رسمية تمثلت في طقوس (التهنئة، والبيعة، والإقرار اللساني الجماعي).

إن سياق المقام يذكر أن الصحابة والمسلمين المحتشدين قد انخرطوا مباشرة بعد انتهاء الخطبة النبوية في عملية "تثبيت تعاقدي" للوضع السياسي والتشريعي الجديد، ويبرز هذا الأثر التداولي الملموس بوضوح عظيم في الاقتباس النصي التاريخي الموثق الذي أورده الإمام أحمد بن حنبل في *مسنده*، حيث يرصد بدقة لحظة التحول السلوكي للجمهور استجابة للفعل النبوي، إذ يقول:

"عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم... فأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من كنت مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة"[72].

تداولياً، يُمثّل فعل التهنئة الصادر عن عمر بن الخطاب بوصفه قامة كبرى من قامات المجتمع الإسلامي آنذاك، اعترافاً رسمياً بنفاذ "الفعل الإعلاني" النبوي وتحقق أثره التأثيري الكامل"[73]، إن كلمة *(هنيئاً)* والوصف بـ *(أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)* يعكسان انتقال الدلالة من حيز القول إلى حيز التطبيق الاجتماعي؛ حيث أقرّ المخاطبون صراحة بالمرتبة القيادية والولائية الجديدة التي أُسندت للإمام علي.

إن هذه الاستجابة الفورية الجماعية، التي تمثلت في توافد الحشود لتهنئة الإمام ومبايعته تحت الخيمة التي صُنعت له بطلب نبوي، تُعدّ وفق فلسفة اللغة المعاصرة "إمضاءً تداولياً للعقد اللساني"[74]، فالمخاطبون لم يتعاملوا مع الخطاب باعتباره موعظة أخلاقية تقبل التأجيل، بل تعاملوا معه كـ "أمر تشريعي فوري النفاذ"، ومن ثم، فإن تضافر هذه الآثار الخارجية (التهنئة والبيعة) يقطع دابر أي تأويل يحاول تفريغ الخطبة من محتواها الإلزامي؛ إذ إن الأثر التداولي المشهود في الواقع الخارجي هو المرآة الحقيقية التي تعكس عمق الفهم الجماعي لمقصد المتكلم وسلطته[75].

بناءً على ذلك، يتضح أن خطبة غدير خم قد استوفت أركان النجاح التداولي في رتبتها الثالثة (الفعل التأثيري)؛ فبينما اشتغلت صيغ الدعاء المغلظة كأدوات ضغط نفسي وعقدي أحكمت حصار العقول والقلوب، جاءت الاستجابة المادية

الفورية لجمهور الصحابة عبر البيعة والتهنئة لتشكل الأثر التداولي الملموس الذي وثق نفاذ الحكم التشريعي، وصيّر الكلمات النبوية مواقف تاريخية وقوانين اجتماعية غير قابلة للمحو أو الارتداد[76].

4. الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون في الخطبة

يُمثّل البحث في "الاستلزام الحواري" (Conversational Implicature) ومبدأ التعاون، اللذين أرسى دعائمهما الفيلسوف اللغوي بول غرايس، أحد أعمق تجليات التحليل التداولي المعاصر؛ إذ ينطلق هذا المنحى من فكرة جوهرية مؤداها أن عملية التواصل البشري لا تقتصر على المنطوق الصريح للألفاظ، بل تمتد لتشمل "المسكوت عنه والمعاني الضمنية الكامنة وراء السطح اللغوي، والتي يستنتجها المتلقي بناءً على سياق المقام المشترك"[77]، فالخطاب لا يُفهم بحرفيته فحسب، بل بمقاصده الثاوية خلف العبارات، حيث "يتشارك المتكلم والمستمع في إنجاح المحادثة عبر تفعيل مبادئ الاتصال العقلاني"[78].

وينعطف هذا المبحث نحو خطبة غدير خم ليفكك رسائلها الضمنية وفق هذه المقاربة؛ باحثاً في كيفية توظيف النبي ﷺ لقوانين الخطاب الأربعة (الكم، الكيف، العلاقة، الجهة)، وكيف شكل خرق بعض هذه القوانين أو مراعاتها استراتيجية إقناعية رفيعة لإنتاج "دلالات مستلزمة ومقاصد كبرى عابرة للقرون[79]، إن دراسة المسكوت عنه في هذا المقام تكشف عن أبعاد تداولية تمنع تجزئة النص أو تفريغه من محتواه؛ إذ يتحول الضمني إلى قرينة قطعية توجه الفهم نحو مراد المتكلم. وبناءً على هذه الرؤية المنهجية، سينقسم هذا المبحث إلى مطلبين؛ يدرس الأول معاني "المولى" والثقلين في ضوء الاستلزام الحواري، بينما يعنى الثاني بمراعاة وخرق قوانين الخطاب التداولي في النص النبوي.

4.1. معاني "المولى" والثقلين في ضوء الاستلزام الحواري.

تنبثق نظرية "الاستلزام الحواري" (Conversational Implicature) في التداولية المعاصرة لتمنح المقاربات اللسانية القدرة على تجاوز الأطر الدلالية المعجمية الجامدة؛ فالألفاظ، من منظور بول غرايس، لا تُحدّد معانيها النهائية استناداً إلى دلالاتها الحرفية المخزونة في القواميس فحسب، بل من خلال "ما تستلزمه حوارياً في سياق مقام اتصالي محدد يتشارك فيه المتكلم والمستمع بوعي تبادلي"[80]، وضمن هذا الفضاء التداولي العميق، يشهد لفظ "المولى" في خطبة غدير خم تجاذباً دلالياً وتأويلياً واسعاً؛ إذ يحمل اللفظ في الوضع اللغوي العربي اشتراكاً دلالياً يتسع لمعانٍ شتى (كالمحب، والناصر، والعتيق، وابن العم، والأولى بالتصرف والاتباع)[81]، بيد أن إخضاع اللفظ لآليات الاستلزام الحواري وقوانين الخطاب يُبطل التعدد المعجمي العبثي، ويوجه الدلالة قصراً نحو مقصدية التولية العامة والأولية بالاتباع، وهو ما سنعمد إلى تفكيكه أكاديمياً عبر محورين؛ يدرس الأول توجيه السياق المقامي والمقالي لمعنى "المولى" ليتجاوز المشترك الدلالي الضيق، بينما يبحث الثاني في الاستلزام التداولي للوصية بـ "الثقلين" كقرينة مانعة من تفريغ الخطاب من محتواه الإلزامي.

أولاً: توجيه السياق لمعنى "المولى" وتجاوز دلالة النصرة والمحبة.

إن تصفح اللفظ المعجمي لـ "المولى" يُمثّل أرضية رخوة إذا ما عُزل عن مقام القول؛ لذا تتدخل "التداولية عبر مفهوم "**القرائن السياقية الموجهة للمقاصد**" (Contextual Determinants) لحسم المعنى المستلزم حوارياً"[82]، فلو كان مقصد النبي ﷺ من قوله: *(من كنت مولاه فهذا علي مولاه)* هو مجرد الإخبار بمحبته أو نصرته –كما ذهبت إليه بعض التأويلات البعدية المعزولة عن المقام– لكان الخطاب خارقاً لـ "**مبدأ الكم ومبدأ الحذف**" عند غرايس؛ إذ يصبح حشد آلاف المسلمين في هجير الظهيرة وفي بقعة جغرافية موحشة كغدير خم، من أجل إلقاء جملة إخبارية تقرر أمراً بديهياً مستقراً في وجدان الأمة (وهو وجوب محبة المسلمين ونصرتهم لبعضهم)، خروجاً عن العقلانية الاتصالية وتكليفاً بما لا طائل تحته[83].

إن السياق المقالي (الداخلي) للخطبة يحمل قرينة قطعية تُسمى "الملازمة الدلالية بين الصدر والعجز"، ويؤكد هذا ما نقله الإمام أحمد بن حنبل في *مسنده* عبر اقتباس نصي مباشر يرشد إلى البناء التلازمي للفظين، حيث يورد:

"عن رياح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا، قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه"[84].

إن استنكار الإمام علي الأولي في قوله *(كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟)* يُفكك تداولياً المشترك المعجمي؛ فالقَبول الاجتماعي والنحوي للفظ "المولى" عند العرب كان يأنف من إطلاق اللفظ بمعنى "المالك للامتثال والسيادة" على الحر العربي إلا في سياق سلطة تشريعية عليا تكسر الهيراركية القبلية، ومِن ثَمَّ، فإن المعنى الذي فهمه السامعون الأوائل واستلزموه حوارياً لم يكن دلالة النصرة العاطفية، بل هو "الأولوية بالتصرف والاتباع القائد"[85].

إن هذا الاستلزام يُشتق حتمياً من التمهيد النبوي التقريري الموثق: *(ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)*، وتداولياً، عندما يطرح المتكلم لفظين متتالين في خطبة واحدة يربط بينهما برابط استنتاجي، فإن "مبدأ المناسبة والتعاون الاستلزمي" يفرض اتحاد الدلالة بين اللفظين[86]، فكلمة "أولى" في صدر الخطاب هي المفسر الإجباري والوحيد لكلمة "مولى" في عجزها، مما يرفع دلالة الكلمة من فضاء المحبة والنصرة العام إلى فضاء "الولاية السياسية والتشريعية المطلقة" التي تتطابق مع ولاية الرسول ﷺ على أنفس المؤمنين.

ثانياً: الاستلزام الحواري للوصية بـ "الثقلين" واستمرارية الهداية.

لا ينفصل لفظ "المولى" في خطبة غدير خم عن القرينة الكبرى المصاحبة له، وهي الوصية بـ "**الثقلين**" (كتاب الله وعترتي)، إن إقحام الثقلين في سياق مقام التولية يُنتج تداولياً "استلزاماً حوارياً ممتداً" يخص طبيعة قيادة المجتمع المسلم ومآلاته بعد غياب سلطة الوحي المباشرة[87].

إن الجمع بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة في رتبة واحدة وبقرن لغوي حاسم، يستلزم تداولياً سمات دلالية مشتركة بين الطرفين؛ فالقرآن معصوم من الضلال، "ومِن ثَمَّ فإن المقرون به يجب أن يحمل صفة العصمة المرجعية ذاتها ليتسنى له القيادة والتبيين"[88]، ويوضح هذا المنطق الحجاجي التلازمي ما رواه الحاكم في *المستدرك على الصحيحين* عبر اقتباس نصي مغلظ يكشف عن مقاصد المتكلم الضمنية، حيث يقول:

"عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ... إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[89].

إن العبارة الضمنية المستلزمة من قوله *(لَنْ يَفْتَرِقَا)* هي تأسيس لـ **"المرجعية التلازمية الدائمة"** للأمة، فالقرآن يمثل النص الصامت المفتقر إلى ترجمان، والعترة تُمثّل النص الناطق والمفسّر الشرعي؛ ومن منظور تداولي، فإن هذا الاقتران يخرق "قانون الكم" إذا كان المراد من العترة مجرد المودة العاطفية المحضة، إن المتلقي يستنتج حوارياً من هذا الاقتران والوصية المؤبدة أن النبي ﷺ في مقام تأسيس "نظام قيادي متكامل" يقوم على ركيزتين: الدستور الإلهي (القرآن)، والقيادة التنفيذية المعصومة المتمثلة في الإمام علي وعترته من بعده.

بناءً على ذلك، يتضح كيف أبطلت آليات الاستلزام الحواري في خطبة الغدير كل محاولات التسطيح الدلالي للفظ "المولى"؛ إذ تضافر "سياق المقام الشاق" مع "سياق المقال التلازمي" (الأولوية بالنفس والقرن بالثقلين) ليشكلا حصاراً دلالياً محكماً[90]، هذا الحصار "يضيق الخيارات التأويلية أمام المتلقي، ويجبر الوعي اللساني على استلزام معنى واحد قطعي لا شية فيه"[91]: إن الإمام علي (ع) هو الأولى بالتصرف والتدبير والاتباع بعد الرسول، وأن التمسك به وبكتاب الله هو الضمانة التداولية والوجودية الوحيدة لعدم وقوع الأمة في شرك الضلال والتمزق الاجتماعي والسياسي.

4.2. مراعاة وخرق قوانين الخطاب التداولي.

يقوم "مبدأ التعاون" (Cooperative Principle)، الذي صاغه الفيلسوف التداولي بول غرايس، على افتراض أن المشاركين في أي حدث حواري يتوقعون من بعضهم بعضاً سلوكاً اتصالياً عقلانياً يهدف إلى إنجاح المحادثة وتحقيق التفاهم[92]، ويتفرع عن هذا المبدأ أربع قواعد أو قوانين خطابية كبرى هي: قانون الكم (Quantity)، وقانون الكيف (Quality)، وقانون العلاقة أو المناسبة (Relation)، وقانون الجهة أو الأسلوب (Manner)[93]، وفي العُرف التداولي المعاصر، لا يقتصر الإقناع على "مراعاة" هذه القوانين فحسب، بل إن "خرقها طوعاً وعمداً" (Flouting the Maxims) يُعدّ "استراتيجية خطابية بالغة الأهمية لإنتاج معانٍ ضمنية مستلزمة ومقاصد كبرى لا تستوعبها الحرفية اللفظية"[94]، وتكشف خطبة غدير خم عن موازنة دقيقة وهندسة واعية بين مراعاة هذه القوانين وخرقها بما يناسب وعي الجمهور، وهو ما سنعمد إلى تفكيكه أكاديمياً عبر محورين؛ يدرس الأول توظيف قوانين "الكم والكيف" لمناسبة وعي الجمهور الحاضر، بينما يبحث الثاني في تداولية العبارة المركزية *(ألا فليبلغ الشاهد الغائب)* كاستلزام حواري ممتد يعبر القرون.

أولاً: توظيف قانوني "الكم والكيف" لمناسبة وعي الجمهور الحاضر.

يقتضي "**قانون الكم**" عند غرايس أن تكون مساهمة المتكلم الخطابية بالقدر المطلوب من المعلومات، فلا تزيد (فتحدث السآمة والفضول) ولا تنقص (فيحدث الغموض والإبهام)[95]، أما "**قانون الكيف**" فيطالب المتكلم بأن "تكون مساهمته صادقة، وألا يقول ما يعتقد كذبه أو ما يفتقر إلى دليل كافٍ يحميه"[96]، وفي خطبة الغدير، راعى النبي ﷺ هذين القانونين بدقة متناهية لتتناسب الرسالة التشريعية مع الوعي الجمعي للجمهور المحتشد، والذي يضم مستويات متباينة من الفهم والولاء القبلي.

لقد تجلت مراعاة "قانون الكيف" من خلال تقديم أدلة قطعية الصدق والتثبيت؛ فالنبي ﷺ لم يطلب من الحاضرين التزاماً دون تقديم مستند عقدي ويقيني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويؤكد هذا ما نقله النسائي في *السنن الكبرى* عبر اقتباس نصي مباشر يظهر كيف استند الخطاب إلى أعلى درجات "الكيف" الصادق والمشحون بالدليل المعصوم، حيث يورد:

"عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم... قال: كأني قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى، وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"[97].

تداولياً، إن الاستناد إلى سلطة "كتاب الله" والربط الغيبي الصادق بـ "الورود على الحوض" يُشكل قمة الالتزام بقانون الكيف الصادق في العُرف الشرعي؛ فالنبي ﷺ يسوق دليلاً غيبياً يمثل قناعة مطلقة ويقينية لدى المخاطبين، مما يمنح الفعل التشريعي اللاحق (التولية) مصداقية إلزامية مطلقة لا تحتمل التشكيك.

من جهة أخرى، وُظّف "قانون الكم" عبر هندسة تداولية تجمع بين "الإيجاز والتركيز اللفظي" في العبارة التوليتية المركزية، وبين "التفصيل والتكرار" في الأسئلة الاستدراجية الممهدة، إن إعادة طرح سؤال الأولوية بالنفس تكراراً واستنطاق الجمهور بكلمة "بلى" هو خرق ظاهري لقانون الكم (بسبب التكرار)، بيد أن هذا الخرق هو "**خرق استراتيجي حِجاجي** يُنتج مستلزماً حوارياً يفيد عِظم شأن القول القادم"[98]، إن تكرار النبي للأسئلة لم يكن فضولاً من القول، بل كان لتثبيت الحجة وتوسيع حجم التلقي عند الجمهور المحتشد، حتى تتناسب كمية المعلومات الملقاة مع حجم المسؤولية التاريخية المترتبة عليها، مما يجعل البناء اللغوي متطابقاً مع الحاجة التداولية التامة للمقام.

ثانياً: تداولية عبارة (ألا فليبلغ الشاهد الغائب) كاستلزام حواري ممتد.

تُمثّل عبارة: "**أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**" المذكورة في خواتيم الخطبة النبوية الشريفة، نموذجاً فريداً لـ "**خرق قانون المناسبة والعلاقة** (Maxim of Relation) بمعناه الضيق، لإنتاج استلزام حواري ممتد وعابر للأزمان"[99]، فقانون المناسبة يقتضي

تداولياً أن يكون الكلام موجهاً للحاضرين في مجلس المحادثة الراهن وأن يرتبط بظرفهم المباشر، وحين يقحم المتكلم عُنصراً غائباً ليس جزءاً من "المقام الفيزيائي" الحاضر، فإنه يخرق هذا القانون ظاهرياً ليفتح آفاقاً تداولية ممتدة.

إن صياغة هذا الأمر اللغوي تخرج من سياق التكليف اللحظي لتدخل في سياق "**مأسسة الخطاب التشريعي**"، ويؤكد هذا المنطق التداولي ما رواه ابن كثير في *البداية والنهاية* عبر اقتباس نصي يوضح كيف صيّر النبي هذه العبارة بمثابة عهد ممتد يتجاوز حدود المكان والزمان الحاضرين في الغدير، حيث يروي:

"فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه... ثم قال للناس: ألست قد بلغت؟ قالوا: اللهم بلى، قال: فليشهد الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"[100].

إن العبارة الضمنية المستلزمة من قوله *(فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)* تعكس رؤية تداولية مستقبلية فائقة الذكاء؛ فالنبي ﷺ يعلم أن "الوعي الآني" للحاضرين قد تشوبه العواطف أو النزعات السياسية والقبلية العارضة التي قد تدفع ببعضهم إلى كتمان النص أو تأويله، ومِن ثَمَّ، فإن نقل الخطاب وتكليف "الشاهد" ببلاغ "الغائب" يحول الأمة الحاضرة بأكملها إلى "قناة توصيل معصومة بالنقل الإجباري"[101].

تداولياً، إن هذا الأمر يُنتج استلزاماً حوارياً مؤداه: إن حكم الولاية والتولية المذكور في غدير خم ليس حكماً ظرفياً أو موقتاً ينتهي بانتهاء حياة الجيل الأول من الصحابة، بل هو "تشريع أبدي مستمر" يخاطب الأجيال القادمة التي لم تحضر مقام الغدير الفيزيائي"[102]، لقد جعل النبي ﷺ من الغائبين شركاء حقيقيين في المقام عبر أداة البلاغ؛ وبات على كل مسلم سمع بالخطاب عبر التاريخ أن يتعامل مع القوة الإنجازية لجملة *(من كنت مولاه فعلي مولاه)* باعتبارها خطاباً موجهاً إليه مباشرة من المتكلم المعصوم، وبذلك، يتضح كيف تضافرت القوانين التداولية في الغدير؛ فبينما أحكمت مراعاة قانوني الكم والكيف سياق الفهم والقبول الراهن لدى الجماهير الحاضرة، جاء خرق قانون المناسبة عبر عبارة البلاغ الممتد ليمنح الخطاب ديمومة تشريعية وتداولية تخترق حدود القرون وتصيّر النص النبوي الغديري دستوراً حياً عابراً للأجيال لا يطاله النسيان أو الإقصاء الدلالي.

الخاتمة والتوصيات

أظهرت هذه الدراسة التداولية لخطبة غدير خم كيف تظافرت البنية اللغوية الإشارية والحِجاجية مع السياق المقامي (الزمان والمكان وحركة رفع اليد) لإنتاج خطاب إقناعي فائق التأثير، حوّل الملفوظات النبوية الشريفة إلى قرارات تشريعية وإعلانية ملزمة غيّرت الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة بشكل فوري، وسدت منافذ العبث التأويلي.

تأسساً على نتائج البحث، نوصي بالآتي:

- **توجيه الدراسات اللسانية الحديثة** نحو استقراء الخطب النبوية المفصلية للكشف عن آلياتها الإقناعية المخبوءة.
- **اعتماد المقاربة التداولية** (نظرية الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري) كأداة رئيسية في تفكيك النصوص الشرعية وفهم مقاصدها الثاوية خلف السطح اللغوي.
- **دراسة التلاحم بين الخطاب اللفظي والاتصال غير اللفظي** (الحركي والمقامات الفيزيائية) في التراث البياني الإسلامي لبيان أثره الحجاجي في توجيه وعي المتلقي عَبْر القرون.

هوامش البحث:

[1](1) دايك، فتين، النص والسياق: 75.

(2) ينظر: صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب: 42.

(3) ينظر: السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج117/3.

(4) ليفنسون، ستيفن: التداولية: 65.

(5) ينظر: متوكل، أحمد: آفاق تداولية: 41.

(6) ينظر: آشوب، ابن شهر: مناقب أل أبي طالب: ج25/3.

(7) ابن الجوزي، عبد الرحمن: تذكرة الخواص: 30.

(8) ينظر: آر مينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية: 53.

(9) ينظر: الراجحي، شرف الدين: التداولية والخطاب: 112.

(10) ينظر: النيسابوري، الحاكم: المستدرك في الصحيحين: 118.

(11) ينظر: ديكرو، أوزوالد: الحجاج في اللغة: 45.

(12) أنسكومبر، جان كلود: التداولية والحجاج اللغوي:79.

(13) صمود، حمادي: أهمية الروابط في تحليل الخطاب الحجاجي: 112.

(14) الاستراباذي، الرضي: شرح كافية ابن الحاجب: ج314/2.

(15) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم: (الحديث رقم: 2408): ج1873/4.

(16) ينظر: الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 165.

(17) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي: (الحديث رقم: 3713): ج79/6.

(18) ينظر: بيرلمان، تشايم: الخطابة الجديدة: 345.

(19) بالزين، شفيع: استراتيجيات الخطاب الحجاجي: 92.

(20) السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: 117.

(21) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل: البداية والنهاية: ج209/5.

(22) ينظر: بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 88.

(23) ينظر: عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان: 145.

(24) ينظر: أوستين، جون: كيف ننجز الأشياء بالكلمات: 33.

(25) ينظر: نحلة، محمود أحمد : آفاق جديدة في البحث اللغوي: 15.

[26] بوقرة، نعمان: المقاربة التداولية للخطاب: 87.

[27] عادل، مصطفى: الحجاج واللسانيات التداولية: 89.

[28] ينظر: يوسف، أحمد: أساليب الحجاج في النحو العربي والتداولية الحديثة: 142.

[29] الحباشة، صابر: استراتيجيات الإقناع في الخطابة العربية: 76.

[30] ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل: (الحديث رقم: 19302): ج56/32.

[31] السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو: ج211/4.

[32] البستي، محمد بن حبان: صحيح محمد بن حبان، بترتيب ابن بلبان: (الحديث رقم: 6931): ج15/ 375.

[33] فاخوري، عادل: منطق العرب من وجهة نظر اللسانيات الحديثة: 104.

[34] عبد الرحمن، طه: حوارات من أجل المستقبل: 67.

[35] ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية: ج229/5.

[36] المرتضى، علي بن الحسين بن موسى: الشافي في الإمامة: ج245/2.

[37] ينظر: ديكرو، أوزوالد: اللسانيات والتداولية: 118.

[38] ينظر: ديكرو، أوزوالد: الحجاج في اللغة: 45.

[39] ينظر: أنكسومبر، جان كلود: التداولية والحجاج اللغوي: 79.

[40] ينظر: صمود، حمادي: أهمية الروابط في تحليل الخطاب الحجاجي: 112.

[41] الرضي الأستراباذي: شرح كافية أبن الحاجب: ج314/2.

[42] مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم: (الحديث رقم: 2408): ج1873/4.

[43] ينظر: ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 165.

[44] محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي: (الحديث رقم: 3713): ج79/6.

[45] ينظر: تشايم بيرلمان: الخطابة الجديدة: 345.

[46] ينظر: شفيع بالزين: استراتيجيات الخطاب الحجاجي: 92.

[47] السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج117/3.

[48] ابن كثير: البداية والنهاية: ج209/5.

[49] ينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان: 88.

[50] عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان: 154.

[51] ينظر: سيرل، جون: الأفعال الكلامية: 41.

[52] صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب: 104.

[53] ينظر: علي، محمد يونس: المعنى والظلال: 132.

[54] ينظر: أوستن، جون: نظرية أفعال الكلام العامة: 24.

[55] سيرل، جون: العقول والأدمغة والعلم: 88.

[56] ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل: (الحديث رقم: 19302): ج56/32.

[57] ينظر: عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 61.

[58] ينظر: سيرل، جون: الأفعال الكلامية: 105.

[59] بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداولية: 143.

[60] ينظر: عبد المجيد، جميل: البلاغة والتداولية: 79–81.

[61] الراجحي، شرف الدين: التداولية والخطاب: 79.

[62] النسائي، أحمد بن شعيب: السنن الكبرى: (الحديث رقم: 8413): ج433/7.

[63] ابن المغازلي، علي بن محمد بن محمد: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: 21.

[64] ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية: ج668/7.

[65] أوستن، جون: كيف ننجز الأشياء بالكلمات: 112.

[66] ينظر: أرمينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية: 89.

[67] الراجحي، شرف الدين: التداولية والخطاب: 145.

[68] ينظر: علي، محمد يونس: المعنى والظلال: 198.

[69] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد: المستدرك على الصحيحين: (الحديث رقم: 4576): ج118/3.

[70] ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: 213.

[71] سيرل، جون: الأفعال الكلامية: 167.

[72] بن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل: (الحديث رقم: 18502): ج430/30.

[73] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد: كتاب الولاية في طرق حديث الغدير: 45.

[74] ديكرو، أوزوالد: اللسانيات والتداولية: 141.

[75] ينظر: عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 114.

[76] ينظر: بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 105.

[77] غرايس، بول: المنطق والمحادثة: 65.

[78] عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان: 188.

[79] نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 93.

[80] غرايس، بول: دراسات في طرق الكلمات: 88.

[81] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب: مادة (و ل ي): ج407/15–410.

[82] علي، محمد يونس: المعنى والظلال: 114.

[83] ينظر: الحباشة، صابر: التداولية والحجاج: 152.

[84] ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل: (الحديث رقم: 22945): ج35/38–36.

[85] االثعلبي، الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم: تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج92/4,

[86] ينظر: أرمينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية: 103.

[87] ينظر: الراجحي، شرف الدين: التداولية والخطاب: 176.

[88] الموسوي، السيد عبد الحسين شرف الدين: المراجعات: 189.

[89] النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد: المستدرك على الصحيحين: (الحديث رفم: 4576): ج118/3.

[90] ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: 241.

[91] بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 122.

[92] غرايس، بول: المنطق والمحادثة: 71.

[93] ينظر: نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 114.

[94] ديكرو، أوزوالد: اللسانيات والتداولية: 162.

[95] ينظر: الراجحي، شرف الدين: التداولية والخطاب: 198.

[96] علي، محمد يونس: المعنى والظلال: 215.

[97] النسائي، أحمد بن شعيب: السنن الكبرى: (كتاب الخصائص، حديث رقم: 8413): ج433/7.

[98] الحباشة، صابر: استراتيجيات الإقناع في الخطابة العربية: 142.

[99] الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: 267.

[100] أبن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية: ج229/5.

[101] عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان: 204.

[102] الموسوي، السيد عبد الحسين شرق الدين: المراجعات:211.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أنسكومبر، جان كلود: التداولية والحجاج اللغوي، تر: محمد طه، دار طليطلة للنشر، تونس، 2010م.
- أوستن، جون: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006م.
- أوستن، جون: نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006م.
- إستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (688هـ): شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- أرمينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1986م.
- بالزين، شفيع: استراتيجيات الخطاب الحجاجي: آليات الإقناع وسلطة التلقي، مؤسسة حمادة للدراسات، إربد، 2011م.
- البستي، محمد بن حبان (354هـ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.
- بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، 2007م.
- بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداولية: مع دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م.
- بوقرة، نعمان: المقاربة التداولية للخطاب: دراسة في نظرية الأفعال الكلامية عند جون سيرل، دار الأمان، الرباط، 2009م.
- بيرلمان، تشايم: مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، تر: عبد الكبير الشرقاوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2010م.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (279هـ): سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (279هـ): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

- الثعلبي، أحمد بن محمد (427هـ): تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.
- الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (597هـ): تذكرة الخواص، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الحباشة، صابر: التداولية والحِجَاج: شواهد من الخطاب السياسي والديني، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008م.
- الحباشة، صابر: التداولية والحِجَاج: مقاربات خطّية في اللسانيات الحديثة، دار صفحات، دمشق، 2008م.
- الحباشة، صابر: استراتيجيات الإقناع في الخطابة العربية: مقاربة تداولية حجاجية، دار الرؤية، القاهرة، 2013م.
- الحنبلي، أحمد بن حنبل (241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
- ديكرو، أوزوالد: الحِجَاج في اللغة، تر: حسن بن حسن، دار الأمان، الرباط، ط1، 2008م.
- ديكرو، أوزوالد: اللسانيات والتداولية, تر: المختار فجاري، دار الأمان، الرباط، 2012م.
- ريكاناتي، فرنسوا: القصدية الدلالية: دراسة في فلسفة اللغة والتداولية، تر: محمد العمري، دار الأمان، الرباط، 2002م.
- الراجحي، شرف الدين: التداولية والخطاب: آليات التوجيه والتعيين في النصوص الشرعية، دار الرائد العربي، الجزائر، 2014م.
- السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2000م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- سيرل، جون: أفعال الكلام: مقال في فلسفة اللغة، تر: معتز سيد عبد الله، دار المعارف، القاهرة، 1998م.
- سيرل، جون: العقول والأدمغة والعلم، تر: مصطفى ناصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (436هـ): الشافي في الإمامة، تحقيق: عبد الزهراء الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران، ط2، 2010م.
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي (588هـ): مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، د.ت.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.
- صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "المقام" في التراث اللساني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.
- صمود، حمادي: أهمية الروابط في تحليل الخطاب الحجاجي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م.
- الطبري، محمد بن جرير (310هـ): كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، تحقيق: يوسف النوري، دار الهجرة، قم، ط1، 1414هـ.
- عبد الرحمن، طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
- عبد الرحمن, طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.
- عبد الرحمن، طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.

- عبد الرحمن، طه: حوارات من أجل المستقبل، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، الدار البيضاء، 2005م.
- عبد المجيد، جميل: البلاغة والتداولية: دراسة في صلة النظام المعرفي للبلاغة العربية بنظرية الأفعال الكلامية، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- علي، محمد يونس: المعنى والظلال: مدارات دلالية وتداولية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2007م.
- غرايس، بول: المنطق والمحادثة، تر: ملكة أبيض، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع 42، 1987م.
- غرايس، بول: دراسات في طرق الكلمات، تر: أحمد الحطاب، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014م.
- فاخوري، عادل: منطق العرب من وجهة نظر اللسانيات الحديثة، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1981م.
- فان دايك، تيون: النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (774هـ): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.
- ليفنسون، ستيفن: التداولية، تر: شكري المبخوت وخالد ميلاد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011م.
- ابن المغازلي، علي بن محمد (483هـ): مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ط2، 2002م.
- النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله (405هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (261هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955م.
- متوكل، أحمد: آفاق تداولية: دراسة في الوظائف التداولية لبنية الخطاب العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- الموسوي، السيد عبد الحسين شرف الدين (1377هـ): المراجعات، تحقيق: حسين الراضي، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ط2، 1425هـ.
- نحلة، محمود أحمد: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: دراسة في نظرية الأفعال الكلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م.
- النسائي، أحمد بن شعيب (303هـ): السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري (218هـ): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1955م.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (761هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.
- يوسف، أحمد: أساليب الحجاج في النحو العربي والتداولية الحديثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2011م.